

المصاييح المضيئة للقدّيس نيقولاى فليميروفيتش

رؤية الرّوح هي في القلب. من القلب ومن خلاله يرى الإنسان الرّوحاني ويتحكّم بكلّ روحه. والقلب النّقي يعني رؤية روحية سليمة. والإنسان الذي اقتنى قلباً نقياً يرى لا فقط روحه، بل يعاين الله نفسه. بكلمات المسيح: "طوبى للأقنياء القلوب فإنهم يعاينون الله". وكما نرى بعيوننا الحسيّة لا فقط نور الشمس بل الشمس التي هي مصدر النور الخارجي، كذلك بالرؤية الرّوحية نرى في داخلنا لا فقط عجائب نور الله اللامتناهية، بل الله نفسه أيضاً، الذي هو الشمس الرّوحية، المصدر الجوهري للنور الرّوحي، أي نور الحق والحبّ.



في ما يتعلّق بالأمر أعلاه، سأسرد عليكم رؤية عاينتها راهبة في دير كما وصفتها هي. اسم الراهبة "مجداليني" (Magdalene) أي المجدلية وكانت راهبة مجدّة في الصلّاة والصّوم. تصلّي الله بالأخص أثناء تجوالها حول الكنيسة وفي المقابر خلال ساعات الليل. أطلقت على نفسها اسم "مجدا البهاء" (foolish Magda)، لكنّها كانت تخاطب الأخوات بـ"ذوات القلوب الذهبية" (Golden Hearts). اعتادت القول لهنّ: "لماذا جنّتن إلى "مجدا البهاء"، يا ذوات القلوب الذهبية؟". كانت تخلد إلى قلايتها باكراً كلّ مساء قبل كلّ الأخوات، ولكن ما إن تحسّ بأنهن قد خلدن إلى النّوم، حتّى كانت تخرج من قلايتها إلى حديقة الكنيسة ومسبحتها بيدها، تطوف حول الكنيسة وبين القبور. يقول البعض إنهنّ كنّ يرينها منحنية فوق القبور الواحد بعد الآخر كأنها تخاطب الموتى. كلّ الأخوات كنّ يحببنها لكنهن كنّ يخفن منها بسبب هذه الخاصيّة الغريبة وكأنّها روحٌ من العالم الآخر.

وحصل أنّ "مجدا"، عندما تقدّمت في العمر، توقفت فجأةً عن التجوال حول الكنيسة وبين القبور. والأغرب من ذلك أنّها توقفت عن الكلام أيضاً. أمضت صيفاً بكامله دون أن تتفوّه بكلمة واحدة لأيّ

كان. لم تبدُ حزينة بل متألمة صامتة كحائط حجريّ. حزن الأخوات لمرآها ولكن لم يجرؤ أحد على سؤالها عن شيء. أحببنا أكثر من ذي قبل، لكنهنّ خشينها الآن وقد لزمت الصمت. في الخريف، مرضت الراهبة المسنة، وعادت مجدداً تتحدث إلى الأخوات بطريقة محببة أكثر من ذي قبل، مخاطبة إياهن هكذا: "يا أخواتي في الربّ ذوات القلوب الذهبية!". عندها شعر الأخوات بالميل إلى طرح السؤال عليها عن السبب الذي ألزمها الصمت طيلة هذه الفترة.

رؤية الأخت مجداليني



"حسنًا، يا أخواتي في الربّ ذوات القلوب الذهبية، حسنًا!" هكذا استهلّت الراهبة "مجدا" قصتها. "لن تسمحن لي بأن آخذ سرّي معي إلى القبر. لن تسمحن لـ"مجدا البلهاء" بإخفاء أي شيء عنكن، يا ذوات القلوب الذهبية، ولا أن آخذ سرّي معي! على كلّ حال، ربّما يريد الربّ الإله من "مجدا البلهاء" أن تبوح لكنّ برويتها في إحدى تلك الليالي."

"نعم، يا ذوات القلوب الذهبية، حصل لي ذلك في تلك الليلة العجائبية التي تسبق سبت لعازر، وهو اليوم السابق للشعانيين، عندما كان القمر بدرًا يشع بنوره ويراقب "مجدا البلهاء" بانذهال وهي تجول المقابر في منتصف الليل بينما أنتن نائمات. حصل لي ذلك في ذلك اليوم بالتحديد، هذا اليوم الذي تُذكر فيه إقامة الربّ يسوع لعازر من بين الأموات."

"كانت "مجدا البلهاء" منحنيةً على قبرٍ طارحةً في نفسها سؤالها الأثيم عنه الذي طرحته آلاف المرات، سائلةً الأرض السوداء والقبور المظلمة عنه - هذا السؤال الأثيم الدائم الذي كان يقض مضجعي لسنين طوال: "ماذا تفعلن تحت التراب، يا أخواتي الرّاقدات؟ كيف شكل أجسادكن الآن، وأين هي أرواحكن؟"

ثم رفعت رأسي ونظرت إلى البدر. بدا لي كأنّ القمر، خليق الله، يرمقني بنظرة قاسية مؤنبًا إياي، كما لو كان يتهددني إن نقلت شكواي إلى شمس الله بسؤال الأثيم، وقلة إيمان "مجدا البلهاء".

ارتعبت من القمر، وحجبت عيني بكفي، وانحنيت فوق القبر. ثم أخذت أُصلي لأخواتي الرّاقدات ليسامحنني: "سامحنني، أخواتي العزيزات، أنتن اللواتي في القبر، سامحن "مجدا البلهاء" لفعلها ما لم يفعله أحد، وسؤالها ما قد أُجيب عنه منذ أمدٍ بعيد. أقسم أنني لن آتي إلى قبوركن بعد اليوم؛ لن تزعجن "مجدا البلهاء"، بعد اليوم، ولكن سوف تتضرّع إلى الله من أجلكن بأكثر حرارة وتهتم أكثر بتحضير نفسها للقدوم إليكن، في قبوركن، يا أخواتي في الرّب ذوات القلوب الذهبية."

"على هذه الحال استمررت في التماس السّماح من أخواتي في قبورهن لفترة طويلة. ثم رفعت رأسي باتجاه القمر، ولكن لم يعد هناك قمر في السماء، لم يبق سوى ضوءه. ربما هرع القمر ليشتكو أمام شمس الله "مجدا البلهاء". ولكن واحسرتاه، يا أخواتي، ما كشفه لي ضوء القمر! ما الذي تراءى لـ"مجدا" الخاطئة في ضوء القمر! ناس، ناس، ومزيد من النّاس! لقد كانت المقبرة ممثلة، وباحة الكنيسة ممثلة؛ الشخص ملتصق بالآخر، من كلّ الجهات، كما لو كانوا يتزاحمون الواحد أمام الآخر. كانوا كلّهم بيضاً. الكل ارتدى كتاناً أبيض اللون، ووجوههم مغطاة ببرقع. ولكن تحت الكتان، عند صدرهم، كان يشع نورٌ رقيق كما من مصباح. ثم خطرت لي فكرة: "كلّهم نساء، إنهنّ أخواتي من المقبرة. لم أكن أرى وجوههن ولا أيديهن، ولكن شيء ما قال لي إنهنّ أخواتي من المقبرة. وافتكرت في نفسي: "كم هنّ جميلات". أنتن كالملائكة، يا أخواتي في الرّب ذوات القلوب الذهبية، أجمل من القمر ومن الشمس. كم أنتن جميلات، يا عروسات المسيح، بنات الله. جمالكنّ يأسر العين. كم أنتن بهيات وظاهرات؛ لستن مثل "مجدا" المظلمة والقدرة. نعم، لأنّه ليس لـ"مجدا" الإيمان والحبّ والطاعة والمثابرة والتواضع والصّلاة والنّقاء والحكمة والأعمال الصّالحة التي كنتن تتمتعن بها في حياتكن. نوحى، أيتها الحقيرة "مجدا"، نوحى على خطاياك، نوحى لقلّة إيمانك وتوانيك، وعجرفتك وعدم طاعتك للرئيسة، وقلّة محبّتك لأخواتك. نوحى، أيتها الخاطئة أبنة حواء، لأجل أفكارك وشهواتك وأعمالك المخزية. أنظري حال بنات والدة الإله. لسن مثل بنات حواء، مخطوبات للحية الشيطان الخسيسة، مثلك أيتها السّاقطة "مجدا"، يا زوّان حواء. هؤلاء هن بنات الكلية القداسة العذراء مريم، والدة الإله؛ إنهن قمع الفردوس الطاهر."

"هكذا انتحبتُ على نفسي وعلى الأخطاء التي اقترفتها في حياتي، أنا أسوء الخطأة. وفيما أنا على هذه الحال، أخذت هذه المجموعة البيضاء تتحرك إلى الأمام وإلى الورا، يمناً ويسرة، كأنّها أمواج بيضاء، أو كأنّها سرب من الحمام، مصنوعات من الثلج الأبيض الناصع النقي. ثم افتكرتُ في

نفسى: "آه، يا ليتني أستطيع إزالة هذا البرقع الذي يغطي وجوههن كي أرى جمالهن! آه، هل تستحق "مجدا" الخاطئة أن ترى وجوههن، والنظر إلى عيونهن؟".

"وتحركت هذه الجمهرة البيضاء حولي، كالغيوم البيضاء حول الراهبة "مجدا" في ثوبها الأسود. يا ليتهن ينزعن هذا الكتان، لكي أرى، أرى وأتأمل هذا الجمال والبهاء السماويين. إرحل بعيداً، يا أيها القمر، إهـو في البحر! أترى منك تخجل أمهاتنا وأخواتنا الذهبيات اللواتي سبقونا أن يُظهرن أنفسهن؟"

"آه، يا لحماقة أمنيائك يا "مجدا البلهاء"! في هذا اللحظة جمدت هذه الجمهرة البيضاء وتساقط كلّ الكتان الأبيض عن وجوههن وأبدانهن إلى الأرض عند أقدامهن. وماذا رأيت؟ ماذا رأيت عينا "مجدا البلهاء" المتعبتين؟ شيء يصعب وصفه! هل تظننّ أنّي رأيت جمالاً سماوياً، عذارى وملائكة الله؟ كلا، كلا، لا أبداً. هياكل عظمية، هياكل عظمية، عظاماً، ميتة، عارية، بشعة، مخيفة! تجويفات العيون دون عيون، أسناناً وفكوكاً خالية من اللحم والجلد، أضلاعاً كلّها عارية حتىّ ليمكنك عدّها واحدة واحدة، أرجلاً كأنّها عصي بيضاء مقشورة؛ الكلّ كان هياكل عظمية وعظاماً. ولا شيء إلا هياكل عظمية وعظام."

"عندها أخذ جسد "مجدا البلهاء"، هذا الجسد المقيت، يرتجف من الخوف والرعب مثل ورقة شجرة الحور لمراى هذه المناظر المخيفة - كحال صياد سمك يجتذب شبكته الثقيلة متوقفاً سمكاً كثيراً، فيجد حيات عوضاً عنها". أردتُ الصّراخ في الليل، ولكن الكلمات اختنقت في حلقى. شعرت أنّ كلّ هذه الهياكل العظمية سوف تنقضّ علي وتمزقني إرباً. بالكاد بقيت عندي القوة لأفتح فمي فتمتمت: "سامحنني، يا أخواتي القديسات، سامحن "مجدا البلهاء"!، ثم صنعت مطّانية إلى الأرض أمام هذه الهياكل العظمية الغريبة والمخيفة - الأشباح، كما أسميتها.

"بعد انحنائي إلى أسفل، رفعت رأسي عن الأرض ونظرت حولي. لم يكن هناك أثر لأي شيء في أي مكان. لا شيء على الأرض السوداء، ما عدا الكنيسة والمقابر، وضوء القمر و"مجدا البلهاء" في ضوء القمر، بينما أنتن يا أخواتي المحظوظات ذوات القلوب الذهبية، كنتن نائمات. كأنّ كلّ شيء انزلق تحت التراب في لحظة، عندما كانت "مجدا" الخاطئة تؤدي المطّانية وترفع نفسها عن الأرض. فقط هدوء الليل بقي والحشيش الربيعي اليناع وضوء القمر الأبيض والكنيسة والمقابر.

"ولكن عندما نظرتُ "مجدا" الحقيرة إلى أعلى، رأيتُ عددًا كبيرًا من أضواء المصابيح، أضواء مصابيح مشعة، تطلق بعيدًا إلى السماء، وقوة ما اجتذبت "مجدا" ورفعتهَا، وحملتها إلى السماء خلف المصابيح.

"هناك، وجدت "مجدا" الخاطئة نفسها في مدينة الله، في بستان من الشجر أوراقه ذهبية وفضية، هفيفها موسيقي الرّنة كنغمة حلوة متناسقة. ومدينة الله كانت ملأى وتطفح برّاهبات عذارى، وجوهن مشعة فرحة، مرتديات لباسًا أبيض مضرّفًا بالذهب. كلّ شيء كان أبيض ذهبيًا. عسافير الجنة كانت تزرقق، والعبير السّماوي المنتشر في كلّ مكان يسكر الحواس وانهمرت الدموع - دموع الفرح!!!.

"أولئك العذارى كنّ يُنشدن: "مبارك هو أسم الرّب من الآن وإلى الأبد". وفي مرتبة أعلى، في الأعالي فوقنا كانت تصدح ترنيمة: "قدّوس، قدّوس، قدّوس، ربّ الصّبّاوت". عندها أدركت أنّ أخوات الدير الرّاقدات هن اللواتي كنّ يُنشدن مباركٌ هو أسم الرّب، وأما ترنيمة قدّوس قدّوس قدّوس فكانت ترتلها القوات السّماوية اللاهيوالية، الملائكة ورؤساء الملائكة.

"هكذا، حصل لي، أنا "مجدا البلهاء"، أحقر مخلوقات هذه الأرض، إذ رأيت وسمعت واستنشقت نور وفرح وجمال "ما لم ترّه عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسان" - أنه موجود أو سيكون هكذا (1 كو 9:2)!

"وإذ كانت "مجدا" منذهلة، سمعت ورأت عجائب لم يرَ أو يسمع بها أحد من قبل. كانت تستطيع البقاء هناك سنين عديدة ناظرةً ومستمرّةً على هذا النّحو، ولم تكن لتلاحظ مرور الوقت، لأنّه لا وجود للعمر والزمن هناك. الكلّ في الأبدية. وكانت لتفعل ذلك، أقول لكن، لو لم تستدعيني أخوات ديرنا وأخذن يتحدثن إليّ. لكنهن استدعيني، ومجددًا تأملت وجوهن المشرقة أكثر من الشمس والأعذب من العسل. أصواتهن، كلماتهن، ترنيماتهن، رقصهن - أكثر الناس معرفة على الأرض لم يكن ليستطيع وصف أو تصوير كلّ هذه المشاهد، فكم بالحري "مجدا" الفقيرة!!

"استدعيني، ثم استهلّت إحداهن الحديث معي، كما لو كنّ كلّهن يتكلمن بفمها اللطيف: "أيتها الأخت "مجدا"، لقد منحك الرّب الإله في هذه الليلة من خلالنا الجواب على سؤالك، هذا السؤال الذي طرحته آلاف المرات في الليل عند قبورنا. لقد أردت معرفة ما آلت إليه أجسادنا وما آلت إليه

أرواحنا. ووالدة الإله العزیزة/الحبیبة، الّتی کُرس لها دیرنا، استعطفت السیّد یسوع المسیح الحنون، ابنها وإلهها، لیکشف لك الجواب ویظهره من خلالنا.

"هیاكلنا العظمية، الّتی عابنتها على الأرض والّتی أربعتك، هی ما تبقى من أجسادنا. الدم واللحم والماء کلّه انحلّ فی تراب الأرض. أما العظام فهی تدوم لوقت أطول، لأنّها ترمز إلى عقائد الحق، ومن الحق یأتي كلّ شیء جیّد.

"ولكن، هنا، أنت تتظرین أرواحنا فقط فی أجساد وهمية وجمال وهمي، هذه الأرواح الّتی ستلبس الجمال الحقیقي والأبدی فی الدینونة الأخيرة، عندما سیقیم الرّب یسوع، الّذی أُعطي كلّ قوة فی السّماء وعلى الأرض، أجسادنا ویسربل بها أرواحنا. وهذا السّربال هو أكثر بهاء مما علينا. والدة الإله المجیدة، الأکرم من الشاروبیم والأرفع مجدًا بغير قیاس من السّرافیم، استعطفت أبناها أن یعلن لك ذلك فی الیوم عینه الّذی تذكّر فیه الكنيسة قیامة القدیس لعازر، صديق المسیح، الّذی جاهد إلى جانب والدة الإله على الأرض.

"والذی رأیته فی هیاكلنا العظمية تحت الكتّان الأبيض على شكل قنديل، والضوء الّذی تشاهدينه الیوم على صدورنا والّذی ینیر كلّ کياننا، هو نور قلوبنا، الّتی حفظنا فیها نور حق وحبّ المسیح عندما کنا على الأرض. والّذی قرأته فی کتاب الله المقدّس عن المصابیح السبعة أمام العرش (رؤیا 5:4)، هی الفضائل المسيحية السبعة الرئیسية، الّتی یضرمها الرّوح القدس والّتی تتلألأ أمام الرّب الإله.

"إذهبی الآن، أیتها الأخت "مجدا"، واشکری الله الّذی احتسبك بین كلّ بني البشر أهلاً لتعابني ما عابنته، حقیقة الله المقدسة - الّتی لا تتغیّر ولا تستحیل. وقولي لأخواتك أن ینتبهن لقلوبهن الّتی هی كالمصابیح فی أجسادهن وأرواحهن، ولیملأنها بزیت الفضائل ویضننها بالرّوح القدس الإلهي، حتّى نكون سوية فی هذا العالم السّمّوي، هنا فی فردوس الله، حیث الفرح الأبدي لمن أحبّ الرّب یسوع المسیح فی حیاته فی الجسد وعبرَ من الحیاة الأرضية إلى هذه الحیاة بالإیمان والرّجاء فیهِ وحده. لربنا المجد والقوة إلى أبد الآبدين. آمین. مبارک هو اسم الرّب من الآن وإلى الأبد."

"الآن علمتن رؤیة "مجدا البلهاء" یا أخواتي ذوات القلوب الذهبية. لا تقلن أنه مجرد حلم أو خیال. لأنه إن كانت هذه الرؤیة حلمًا، إذن كلّ حیاتي كان حلمًا، وحلمًا باهتًا أكثر من هذه الرؤیة.

لأنني لم أختبر قط أو أشهد في حياتي شيئاً أنقى وحقيقياً أكثر من الذي سرده لکن. وإذا احتسبتن ما قد سرده لکن مضرًا، إدفنه في الأرض. ولكن إذا أعتبرته نافعًا، أنزلن بركتكن على روعي واذكرني، أنا أختكن المسنة، "مجدا البلهاء"، في صلواتكن، يا أخواتي ذوات القلوب الذهبية.!"

فيما بعد، بعد أن أخبرتهن "مجدا" عن رؤيتها العجيبة، أصبحت هذه الراهبة المسنة أكثر صفاءً وأنسًا. واعتادت أن تخبر كل أخت على حدة رؤياها، ساردةً ومكررةً إيّاها. لکن، في ذلك الخريف، تقاوم مرضها ورقدت في الرب. بكى كل الأخوات على "مجدا" العزيزة والمسنة كما لو كانت أمهن. وعلى مدى سنوات، أخبرت الأخوات وأعادت سرد قصة هذه الراهبة، وحياتها العجيبة، وصلاحها ورؤيتها. ألا منح الله روحها الصالحة مكانًا في ربوع فردوسه. آمين.

المرجع:

Saints Velimirovitch, Nicolai & Popovitch, Justin (1989) *The Struggle for faith*. The Serbian Orthodox Diocese of the United States of America and Canada.